

الجامعة الاسلامفة^{*}

أرسل الفنا أءء علماء اللغة العربفة المقالة الآفة باللغة الفرنسوفة فف مسألة هف فف الوقت المآضر أ كبر المسائل الف فهم أورفا بمقدار ما فهم المسلمفن ، وهف مسألة الجامعة الاسلامفة الف فبهل منها أكثر مما نعلم ، قال السكائب :
ولءت الجامعة الاسلامفة نألس شمس مصر المارة وظاآ زما نا طوفا مآصورة فف ءائرة عءء صفر من أنصارها ، وكانت هءه الجامعة فف نشأاها الأولى ءفنفه مآصفة أشبه بكفئسة كاثولفكفة فرمف الف ضم ففم الفرق الاسلامفة أو بالمآرف الف فبءفء ذكرف الوءءة القءفمة الف فقءآ منذ زمن بعفء ، الا انها لم بمض علفا زمن آف وسمآ ءائرآها وأصبآآ فمقدار آباء ففكوفن ءولة اسلامفة شءفءة البأس كالمءولة الف كانت فف زمن الفراعنة لآظفر للعالم فف بعض أآزانها انها المصفءة بصفة شبه قومفة (؟) للآمن الشرفف الءف فوارف آلف مءنفة أورفا المسفكفة ولما كانت الجامعة الاسلامفة لم نزل ءءفئة النشاء لذلك كانت أعمالها صادرة عن آفة عمفاء آفة المءاآة وعدم الآآبار الف آفن مصر والآزان من نأنا الف أن ءآآ فف ءور السكفنة مشآفلة بنشر مباءنا ومنآقرة بلوغ قوآنا .
والسفء جمال الءفن الأففانف الءسفنف هو أول من اشآفل بنشر فكرة الجامعة الاسلامفة ان لم ففكن المآرض على انشأنا وقد ظل زما نا طوفا مآصرفا بأنه المثال الءف لذلك الجامعة .

ولد السفء جمال الءفن فف ولافة كابل فف أسعء آباء من أعمال بلاد الأفان واشآرك فف ثورات عءفءة أرفقآ ففها الءماء ، ثم فارق وطنه سألأا فف العالم آصوفا فف العالم الاسلامف فاآرق المء الانكلفزفة الف فارس فبلاد العرب

(*) مآرآة عن آرفءة (الطان) الفرنسفة من الءءء الءف صدر فف ١٧ ءسمبر وهف السكائب من نصارى لبنان

فالسُلطنة العثمانية ثم القطر المصري ومنه جاء الى أوروبا فراقب كفيلاسوف كل الحوادث العظمى التي شهدتها القرن الماضي وراقب أدوار الرقي العقلي في أوروبا بنظر من يود الوقوف على الحقائق، وأنحرف في سلك الماسونية في مصر ثم ذهب الى الأستانة فتوفي فيها عام ١٨٩٧ وكان السلطان عبد الحميد قد جذبته اليها وغمره باحسانه وهداياها ، وفي جملة الذين حظي بصداقتهم وودادهم أثناء سياحاته المسيورينان حتى اختصه هذا بالمدح والتعريف في أحد مؤلفاته .

وكان جمال الدين مهيب الطامة ، ويقال انه مع مقدرته الفائقة في فن الخطابة كان واسع الاطلاع في الشؤون العامة حتى أنه خلف تلاميذ كما فعل أفلاطون ولم يخلف مؤلفات ، وكانت سيرته تاريخنا في العالم الاسلامي الذي كان جمال الدين يسعى الى تأييده فكانت الجامعة الاسلامية أملا له يحلم به في كل أيام حياته ، وكان ينتقل في العالم الاسلامي من بلدة الى أخرى رسولاً للوحدة والتضامن يخط الناس ويدعوهم للعودة الى التقاليد القديمة ولكن من غير تعصب فكانت غايته أن يكون الاسلام عاماً طيباً ووسيلة للتسامح وحب المدنية والارتقاء ، وكان في القطر المصري جمعية تدعى (جمعية العروة الوثقى) طلبت من من الافغاني أن يرفع مدة اقامته في باريس صوت الدعوة الى الجامعة الاسلامية فأصدر هناك جريدة (العروة الوثقى) وناط تحريرها بالشيخ محمد عبده الذي ذاع صيته في ذلك الوقت فظهر منها ثمانية عشر عدداً فقط إذ أن الحكومة الانكليزية التي كان يهيمها أكثر من غيرها أمر الجامعة الاسلامية الجديدة بتعميل الضنط لايقاف حركة تلك الجامعة

ثم ظهرت فكرة عقد مؤتمر اسلامي عام فاتجه نظر الافغاني نحو مكة واستحسن العالم الاسلامي ذلك الا أن السلطان عبد الحميد قد راعه اتجاه الجامعة لاسلامية نحو بلاد العرب التي أفلقته ثوراتها الماضية فأخضت فكرة عقد المؤتمر في مكة

**

أما الكواكبي فقد كان مع ذلاقة لسانه في الخطابة صاحب نظر دقيق

نير، وقد أخذ فكرة الافغاني في عقد المؤتمر الاسلامي فشرحها شرحا مطولا في كتابه الذي صدر باسم (سجل جمعية أم القرى) وضمن هذا الكتاب أعمال المؤتمر الذي لم يمكن عقده ، ووصف بأسلوبه الحسن حالة العالم الاسلامي وشخص أمراضه بكل انتباه مع ذكر الدواء اللازم لها

السكواكبي هو العالم النظري الذي نذر للجامعة الإسلامية وهو الفكر الذي لم يؤثر فيه الوعيد والتهديد ، وانما كان الافغاني قد أظهر الميل الى عبد الحميد بعينه الى الامتانة حتى مات فيها فان السكواكبي ظل دائما الادو الالذ لهيد الحميد حتى أتت كتابه (طبائع الاستبداد ومصارح الاستبداد) تشيحا على حكومته ،

•••

اما عبد الحميد فانه بما اتصف به من الحكمة والدقة أدرك القصد من فكرة الجامعة الإسلامية فبعد أن كان أول خصم لها أراد أن يربطها برعايته ليستأثر بفائدتها وان ذلك جذب الافغاني وكثيرا من الأطباء وأئمة الاسلام الى الامتانة وأنعمهم بالالتحاق به وأجزل الهبات والمهدايا والعتايا والاقاب والوسامات وظهر هو نفسه بمظهر ديني وجعل نفسه نصير الاسلام في العالم وربب المرتبات للمجاهد الدينية وللعلماء وشيوخ الطرق وللجوامع والمساجد وشيد اماكن خاصة بضيافة الحجاج وتسهيل واجباتهم الدينية كما أنشأ السكة الحديدية المجاوزية التي لم يكن ينظر العالم الاسلامي اليها الا أنها عمل صادر عن شفقة على المسلمين وحنان عليهم ، فبرع لها المسلمون بمبالغ طائلة اعانه على إتمام هذا المشروع

ولم يقتصر الامر على جذب المسلمين والمجهول على انعطافهم بل كان من اللازم أيضا تنويرهم وضمهم بهضم الى بعض والقبض عليهم فأرسل خليفة الامتانة الى أنحاء العالم الاسلامي أولئك العلماء الذين التفوا حوله وجعلهم رسلا للجامعة الإسلامية التي كانت تحيط بأحلامه

وفوق ذلك فانه أراد أن يراقب الدول الاجنبية التي كانت تضم بين رعاياها أو في مستعمراتها فريقا من المسلمين نبث في كل جهة حتى في الجزر

الصغيرة رساله السريين الذين لم يكن يشعر أحد بوجودهم وتمكن أيضا من الحصول على مخبرين سريين في الدوائر العليا لتلك البلاد وكان يقدم المبالغ الطائلة أجرة على عملهم

ولما خلع السلطان عبد الحميد أصبح كل الذين يعيشون من هذا الطريق لا مورد لهم ، والحكومة الدستورية الجديدة لم تشأ أن تعترف بهم ، وقطع أعضاء جمعية الأتحاد والترقي الصلة بينهم وبين الجامعة الاسلامية منذ قاطعوا شخص عبد الحميد وتظاهروا أيضا بمقاومة هذه الجامعة ونسخ اللغة العربية وهي لغة الدين المقدسة بل هي لغة المسلمين العامة التي بزوالها يزول الاسلام ويقاؤها يمتى ويحيا

ظل هؤلاء دائمين وراء أمانيتهم الجميلة فابتكروا مشروع الاقدام على صبغ السلطنة العثمانية بالصبغة التركية ، وهذا المشروع لم يخطر في بال السلاطين الفاتحين ولا عالوا النفس بتحقيقه مع ما كان لديهم من القوة التي ان لم تكن أعظم من قوة أحداث سالنيك الفارقين في الاوهام فهي على الاقل تساويها ، وبهذا صارت الجامعة لاسلامية بلاسند وعادت حقا مشاعا فبدأ كتاب الصحف وحدهم يشتغلون بها وقوة هؤلاء لا يستخف بها

**

انتشرت الصحف الاسلامية في العالم بكيفية غير محسوسة واكثر هذه الصحف عربية فتجد منها باسيا وأفريقيا وأميركا وأوروبا بل في الاوقيانوسية ولو بنسبة غير متساوية ، ولما كانت هذه الصحف حديثة النشأة لذلك ترى لها عيوبها كما أن لها مزايا وفوائد ، فإذا كان يتعصبها الاخبار السريية من جهة فهي من جهة ثانية ذات ساطة على قرائها وهي التي تكون الرأي العام بلبل أن تردد صده

تكثر الصحف العربية بنوع خاص في القطر المصري ، وكانت في سوريا قد نهضت بنشاط في مدة قصيرة حتى جاءها الحكم الحميدي ووقف في وجهها فحظها نسيبا منسيا الى أن أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وكان الكتاب السوريون

ينزلون ضيوفا في مصر وهي الاخت الشقيقة لسوريا فانتشرت الصحافة في وادي النيل وفازت فوزا باهرا

صورة مصطفى باشا كامل تقدم بما لها من المكانة صحف الجامعة الاسلامية في القطر المصري ، وهذه الجامعة الاسلامية هي الجامعة المدنية التخيلية القريبة الوصول لكل من بذل ذاته وأبدى سخاء وعلو همة الا ان هذه الجامعة مصرية أكثر منها عمومية وقومية أكثر منها دينية

أما المثل الحي المقدم للجامعة الاسلامية الدينية فهو بلا نزاع الكواكبي والافطاني والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وكان يرمى آمال الشيخ محمد عبده ان يكون الاسلام عاما حيا يرجع الى حاله الاولى ويتجدد عما زيد فيه بمرور الزمان وما قاله رحمه الله في كتابه (الاسلام والنصرانية) ص ۱۱۷ ان ما يؤخذ على المسلمين في الوقت الحاضر ليس هو من الاسلام في شيء ولكن شيئا آخر أدخله أهل البدع على الاسلام ودليلنا على ذلك القرآن الذي انصرفوا عن تدبره واتباع سننه

ان الجامعة الاسلامية الدينية التي خلفها الشيخ محمد عبده لتلاميذه عند وفاته يتوسل للعمل لها بثلاث وسائل المؤتمرات والصحافة والتعليم بالمبادئ الصحيحة ، وقد كانت آمال الجامعة الاسلامية ترمي الى عقد مؤتمر يجمع جميع الطوائف الاسلامية وقد سبق لنا الكلام على السبب الذي من أجله لم يفلح مؤتمر أم القرى ، الا أن الزبينة لم تقتر في هذا الشأن حتى قام قبل بضع سنوات اسماعيل غصبرنسكي مدير جريدة ترجمان التي تطبع في بنجه سراي في القريم فاقترح عقد المؤتمر في القطر المصري وقابل المصريون هذا الاقتراح بحمية ونشروا على العالم الاسلامي منشورات حماسية الا أن هذا المؤتمر أخفق أيضا وقد قرأت في أحد أعداد مجلة المنار التي تصدر في مصر وقد تفضل بارسالها الي المسير ماسينيوس اقتراحا لاحد المكاتبين يقترح به عقد المؤتمر الا انه لم يكن سبب اخفاق المشروع فساد في ادارته بل كانت هناك صعوبات مادية تحبب به من كل جانب

وأما الوسيلة الثانية وهي الصحافة فإيها جعلت فكرة الجامعة اسلامية تقدم
تقدما سرعيا لان كل الجرائد الاسلامية في العالم ترمى الى هذا الغرض وهي
منتشرة في كل مكان . واذا فتح الانسان واحدة من هذه الجرائد او المجلات
ياخذها العجب من الخطوات التي اجتازتها الصحف العربية وان كانت أربا بالاثقاد
تسبب لوجودها حسابا

وتتم الصحافة العربية باستعراض أحوال العالم الاسلامي بأسره ونشرها
وتعاقب عليها وتشير باصلاح المعوج منها وتشجعها وتحنو عليها حتى الولادة على رخصتها
وتفيض هذه الصحف بالبحث في تاريخ الاسلام وعلومه وتقاليد في قالب سهل
فيه على جميع القراء لانه يكتب بأسلوب بسيط حديث . وان مجلة كمجلة المقبوس
تعد كدثرة عارف حقيقة بهم المسلمين الاطلاع عليها وهي تقرأ في كل جهة
من البلاد العربية كما تقرأ في الاوقيانوسية والهند وأميركا

وتد ونف أحد مسلمي الهند في لاهور مائة نسخة من كتاب تفسير القرآن
المسكيم الذي يكتبه الشيخ رشيد رضا لتوزع هذه النسخ على المساجد وتتل فيها
والدينا أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على وجود روح التضامن التي نبشها
هذه الصحف بين المسلمين المنتشرين في أنحاء العالم

وأما الوسيلة الثالثة فهي التعليم الذي اشتد الميل اليه والشوق الى نشره
فانتشرت المدارس في كل مكان . وكان الانسان يقرأ منذ حين على كل جدر
في كل مدينة من مدن سوريا هذه الجملة : « تعلم يا قتي فالجهل عار »

والجامعة الاسلامية لانكفي بتأسيس المدارس البسيطة بل هبت لتأسيس
المدارس الجامعة الكبرى . فهذا الجامع الأزهر قد تأهب لتجديد عهد شبابه واستعد
للقيام بالوسائل الحديثة . وهناك مشروع تأسيس جامعة في الهند وأخرى في سوريا
وقد تكلموا في هذه منذ مدة ولكن لم يتم شيء من ذلك بعد

ويرجع فضل حركة النهضة الاسلامية في الهند لاجد خان الذي ولد في
سنة ١٨٧١ وتوفي سنة ١٨٩٧ وهو المؤسس لجمعية الترجمة التي صارت بعد ذلك
باسم جمعية عليكرة العلمية وهو الذي اهتم بإنشاء جامعة اسلامية ورغب الناس

فيها بواسطة جريدته وجنم هذه النهضة الدينية بميله وكتاباته وخطاباته ، وقد
أنشئت في كلكنا مؤتمرات للتربية الاسلامية حتى انتشرت هذه الحركة . وقد
نحصل الراجح محمود اباد أخيراً على رضا حكومة الهند بتأسيس مدرسة جامعة اسلامية
كبيرة في عليكرة وهو المشروع الذي كان يشغل به منذ زمن
وأما مسافر الأوقيانوسية فقد أسسوا الآن مدرسة اسلامية لتعليم اللغة العربية
في صومطرة ، وفي جاوا تنشر الجرائد العربية

أما المشروع الذي يفوق المشروعات الأخرى ويدل على الجامعة الاسلامية
قبل غيره فهو مشروع (الدعوة والارشاد) الذي قام به الشيخ رشيد رضا تلميذ
الشيخ محمد عبده الذي سبق لنا الكلام عليه وكان قصده من هذا المشروع في
بادي الامر ان يكون في الامانة الا أن حزب الأتحاد والترقي كان يظهر له القبول
والترحاب الى أن انقلب عليه فعاد السيد رشيد رضا لارض مصر الكريمة فألف
فيها جماعة الدعوة والارشاد ووضع بمساعدتها أساس مدرسة كلية اسلامية كبرى
مجانبة وتبدأ المدرسة بسنة تمهيدية ، ثم يكون لها صنفان مدة كل واحد منها ثلاث
سنوات أحدهما صنف المرشدين الذي سيحي بلاغة منبر الخطابة الاسلامية
الراقد منذ أجيال والصنف الثاني لتعليم الدعاة الى الاسلام وهؤلاء ينتخبون من
علية متخرجي صنف المرشدين فيتمون في السنوات الثلاث المعارف اللازمة
لتأدية مثل هذه المهمة العظيمة

من هذا نعلم أن الجامعة الاسلامية تشهر أنها قادرة ليس على الدفاع عن
نفسها فقط بل على الشروع بهتوحات جديدة .

قال محمد أحمد في مقدمته لكتاب الاسلام والنصرانية تأليف الشيخ محمد عبده أن
هذه الديانة السمحة تشع كل دين آخر وتزيل كل طريقة وتبقى وحدها على الارض .
والواقع أن الدين الاسلامي ينتشر في أواسط أفريقيا ومن الممكن أن ينتشر
أكبر . ويتضح من احصائية الحج الأخيرة أن قد ظهرت في الوجود حركة دينية
شديدة . فان عدد الحجاج صار ۱۷۵۰۰ بعد ان كان ۷۵۰۰ وعدد الحجاج الذين

ان الجامعة الاسلاميه تسير بصراحة وأنا أعرف جامعة أخرى لاهلة لها بالدين . وهذه الجامعة أهلية محضه والغرض منها احياء تلك المدينة الاسلاميه الشرقيه القديمه واظهار جمالها وريحها العاطر القديم . وذلك أمل تشترك فيه ضفاف الفرات الغنيه الخصبه ودمشق القويه القديمه وترقب من ورائه أن تتجدد عجائب مدائن الأندلس

وليس هذا الأمل اسلامياً فقط بل ان الحميه التي يبيها الكتاب المسيحيون حديثوا السن لا تقبل عن حميه اخوانهم المسلمين قوه وشغفا . الا أن هذا الميل لا يمكن اشتراكه بالجامعة الاسلاميه الدينيه بدون تكلف في الالفاظ وتوسيع الدائرة الى حد لا يسمه مجال مقالة واحدة . ومع ذلك فاني أردت أن أشير الى هذا الميل الذي يهيم البحث فيه كل من يهتم بشؤون هذا الشرق القديم الذي لم تزل شهرته قليلة

ك . ت . خير الله

(النار) كتب هذا الكتاب اللبناني البليغ مقالته في الطان انوراد فرنسا وسائر دول أوربة مقاومة لكل ما يراقي به المسلمون ولذلك كبر الصغير ، واستهان بالابهام والتهويل ، فجعل عبد الحميد مؤيداً لما يسمونه الجامعة الاسلاميه وبائناً لدعاتها ، وهو أشد خصومها وأكبر أعدائها ، وإنما كان يصطنع بعض أصحاب الصحف في البلاد الاسلاميه ليدحوه ويدافعوا عنه بلقب الخلافة كما اصطنع أمثالهم في أوربة للدفاع عنه ومدحه ، وهو لم يحتل على جذب السيد جمال الدين الى الاستانة الا ليجسه فيها ويطل عمله ، ومن كلام السيد فيه « انه سل في رثة الدولة »

كذلك جعل المقتبس من الصحف الجامعة الاسلاميه وأوهم أن قراءه في الاقطار الأمريكية والافقيانوسية من أركان الجامعة الاسلاميه وأنهم كثيرون يعدون بالآلوف والصواب ان جلهم ان لم تقل كلهم من النصارى وهم قليلون . وقد صرح في الجزء الاول من المقتبس بأنه علمي مجرد من النزعات الدينية وقد صدق فاذا كان مع هذا يمد من صحف الجامعة الاسلاميه فالمتطاف والهلل منها كذلك !!

وفي المقالة مباحث اخرى نخرج بها الكاتب عن محيط الحقيقة فثلبا لا وربة
من وراء زجاجة الالة المكبرة (المرسكوب) ولكنه اراد ان يجعل منها مسألة
الحج فأخطأ في الارقام وجعل الكثير قايلا والكبير صغيرا .

جعل السيد جمال الدين هو الواضع الاول لاساس هذه الجامعة وقال انها
امست في مصر وانها كانت دينية محضة . والصواب ان السيد رحمه الله تعالى
لم يدع في مصر الى جامعة دينية محضة بل اسس في مصر جامعة شرقية وحزبا
وطنيا دخل فيه السوريون وغيرهم من سكان مصر الشرقيين

ومن اغلامه ما ذكره عن جمعية الاتحاد والترقي من مقاومة الجامعة الاسلامية،
وهذا الغلط مبني على الخطأ في دعوى ان السلطان عبدالحميد كان نصير الجامعة
الاسلامية يث الدعاء لها في اقطار العالم . والصواب ان الاتحاديين هم الذين
حاولوا دون جميع اصحاب السلطة قبلهم ان يستفيدوا من تعلق قلوب المسلمين
بالدولة فثوا الدعاء لذلك في جميع اقطار العالم الاسلامي في الوقت الذي يندلون
فيه جهدهم باضعاف الدين ورجاله في الملكة نفسها ، فزعمواهم المشهورون
يقامون نفوذ الدين ونشره من حيث هو دين ويحاولون الانتفاع به من حيث
علاقته بالسياسة

ومن اغلامه ذكر اسم مصطفى كامل في بحث الجامعة الاسلامية ووطنية
مصطفى كامل والجامعة الاسلامية ضدان لا يجتمعان وانما كان يقدر عبد الحميد
لأجل الانتفاع بذهبه ، واوسنته ورتبه ، وكذلك خليفة محمد فريد نصير زعماء
الاتحاديين ومقاوم مشروع الدعوة والارشاد باغرائهم

وهناك اغلام اخرى لا حاجة الى تتبعها ومنها ما لا يترتب عليه شيء كقوله
ان السكاكبي كان خطيبا مصقما وهو لم يكن خطيبا ، وقوله انه كان في القطر
المصري جمعية تدعى العروة الوثقى طلبت من الاغفاني كذا وكذا والصواب ان
الاغفاني هو الذي ألف جمعية العروة الوثقى

وجملة القول ان الكاتب يعد كل عمل يعمله المسلمون سعيا الى الجامعة

الاسلامية فاذا قرأوا او كتبوا ، او اكلوا او شربوا ، يقول ان كل ذلك استعداد للجماعة الاسلامية . والمسلمون ناعمون يفتنون ، لم يستيقظ منهم الا نفر قليلون ، قد رأوا ملكهم ورزقهم يفتال ، وكل ما هو لهم مهدد بالزوال ، فهم يقولون لهم في بعض البقاع استبقطوا ، وانظروا كيف تعيشون مع من معكم ، ومن جازكم من فوقكم ، ولا أعرف أحدا يسى الى اتحاد حكوماتهم ، على ان اوربة لم تدع لهم حكومات ، وانما بقي لهم هذه الدولة المنكوبة التي يخربها اصحاب النفوذ فيها من الداخل ، واوربة من الخارج ، كما قال المرحوم قواد باشا الشهير ، ونسأل الله وقايتها من هذه الارزاء ، فقد وصل الامر الى حد الدعاء ،

الصلح بين الدولة والامام

رسالة طويلة أرسلها الى جريدة الحقيقة البيروتية من اليمن ضابط عثمانى شهيد لحرب والصلح هنالك بنفسه ، لما فيها من الفوائد الجديرة بالتأريخ قال :

كان يوم السبت الواقع في ٨ ت ١ سنة ١٣٢٧ يوما عظيما في اليمن حيث تجلت السعادة على تلك الربوع وانمحي الشقاء والبؤس اللذين كانا يرفرفان عليها واراني خورا في زف هذه البشرية لآخواني في الدين والوطنية ان قرية « دعان » الواقعة على مسافة خمس ساعات من الشمال الشرقي من قضاء « عمران » سيكون لها شأن في التاريخ حيث عقد فيها الاتفاق وتم توقيع شروط الصلح بين الامام يحيى بن حميد الدين وقائد الحملة عزت باشا فأنحس بذلك الخلاف وهدأت الخواطر وارتاحت النفوس ولعمري ان الاتفاق خير وسيلة لحقن الدماء لان التطاحن لا يجدي نفعا بل يكون سببا لتأصل البغض وضمف القوة وقد قام الامام بحضور القائد واركان حربه ونواب اليمن والوف من سكانها داعيا للدولة بدوام العز حتى اعتقد الناظر ان رابطة الاتحاد والاخاء ستكون ابدية الى ما شاء الله لما ظهر على الوجوه من علام الخلاص وسياء الاتحاد